رهانات صانع قصة الطفل.

أ.د .أحمد موساوي
المركز الجامعي النعامة (الجزائر)

الملخص:

تعالج هذه الدراسة مسألة الكتابة للطفل , و على أي شيء يراهن و يعول المبدع لتصل رسالته بنجاح إلى مخيلة و ذهن القارئ الصغير , و تجذب انتباهه و تنشط خياله , وهل من الضروري أن يكون الأديب مبدعا متخصصا في هذا المجال؟ أم الموهبة العامة لأي كاتب كافية لتحقيق المقاصد ؟, و هل التماهي في شخصية الطفل و الاندماج مع عالمه يحقق الغرض؟. , فمن خلال هذه الأسئلة واعتمادا على قصتين موجهتين للطفل حاولت الدراسة ولوج هذا العالم عبر عدد من المحطات المهمة في عملية الكتابة و التواصل مع الطفل.

بعد اطلاعي و استمتاعي بقصتين موجهتين للأطفال, الأولى للقاص المغربي **خالد أقلعي** و عنوانها " **بدر الدين و طاقية الشفاء** " الحائزة على جائزة مصطفى عزوز, دورة 2013 و قصة **"طائر مكسور الجناح يحلق في السماء"** للكاتب التونسي **محمد ايت ميهوب** و قد حصلت أيضا على الجائزة نفسها عام 2015. قلت بعد الاطلاع والقراءة المتأنية لهاتين القصتين , إضافة إلى تفاعلي حديثا مع النص الموجه للطفل , تبادرت إلى ذهني مجموعة من التساؤلات و التي لا أعد نفسي السباق إليها بل الأكيد أن فرسان هذا الفن والمتخصصين و المهتمين بهذا الأدب سبقوني إليها في مناسبات عدة .

و لعل أبرز سؤال طرحته على نفسي, و أنا أتصفح القصة الأولى ثم أتركها و أعود إلى الثانية و أقلب أوراقها بين يدي , هو هل كان القاص يكتب للطفل مثلما يكتب للكبار؟

و هل الأدوات و الأساليب هي هي؟؟ أم الكتابة للكبار شيء و للطفل شيء آخر و مختلف؟

و هل عومل الطفل كانسان ذكي و قادر على إدراك الأمور ؟ و هل الاعتراف بإنسانيته دلالة عل احترام الكاتب للطفل و لقدراته؟... و هذا التساؤل الأخير يذكرني بقول عبد الوهاب المسيري حينما وجه إليه سؤال عن الطفل و الكتابة الموجهة إليه فقال: "" .... الأطفال ليسوا ملائكة و لا بشرا ناقصين , بل هم بشر كاملون يجب أن نعترف بإنسانيتهم الكاملة..."" (الثقافة و المنهج .ج1 ص : 221) .

و حتى أتحلى بشيء من المنهجية في توصيل ما عن لي من خلال هذه المصاحبة للقصتين السابق ذكرهما, سأستعين ببعض مقاطعهما , و ارتكز على رهانات المبدعين عبرهما, مع ترتيب تلك الرهانات على شكل محطات تستوقفنا للتأمل و الملاحظة و الإجابة عن تساؤلاتنا السابقة.

فهل كان الرهان على طبيعة المتلقي و حاجاته النفسية؟

يمكننا في هذا المكان الوقوف عند العنوانين المختارين للقصتين إذ وشاهما الكاتبان بالإيماء الرقيق , و التشويق و الجاذبية المستحبة المحبذة لدى الطفل القارئ, مثل : الطائر المكسور الجناح , و طاقية الشفاء. و نحن نعلم أن الرمز إذا ما بولغ فيه و مال به صاحبه نحو التجريد يتجاوز القدرات الذهنية للطفل و يبتعد عن مداركه و من ثم يصبح الربط بالواقع الحقيقي له أهميته في تحقيق الاستجابة و المتعة ."" لم أرغب في شيء ساعة توجت بجائزة الرسم الكبرى قدر رغبتي في أن انزوي في ركن قصي من أركان المسرح الكبير , و أطلق العنان لعبرات الفرح و الفخر

تغسل آلام الروح و تطرد أدران السنوات , و لكن أنى لي ذلك و هؤلاء الأحباب و الأصدقاء قد تحلقوا بي مهنئـــين و كثير منهم غير مصدقين ؟..."(الطائر ص:3)

بين عنوان القصة و بين هذه المقدمة صفحة واحدة, من التحليق في السماء بجناح مكسور إلى الاحتفاء و السعادة بالجائزة على خشبة المسرح , سرعان ما يجد المتلقي نفسه على أرض الواقع يلامسه و يتلمسه بلطف, فتتســارع إليــه الحقائق و الوقائع , و كأن القاص هنا يعرف أن طبيعة الطفل القلق والسرعة في الحاجة إلى معرفة الحقيقة و لا يحبذ الإبطاء بها و تأجيلها , فهو متلق متلهف لكشف الأسرار و معرفة المستور , و لذلك لم يتوان المبدع ايت ميهوب فــي توفير ذلك و لم يتلكأ و يتأخر في تلبية تلك الرغبة "" ... من أين لهذه الفتاة المقطوعة اليدين أن ترسم و تبــز أمهــر الرسامين و الرسامات؟...."(الطائر **ص**:3)

فلم يسمح للقارئ هنا , بإفساح المجال للخيال و تهويماته , و إن كان يبدو قارئا سلبيا ضعيفا هشا هشاشة الطفولة , ففي اللحظة التي تلقى فيها العنوان عن طائر مكسور الجناح, يكتشف أنه فتاة و ليس طــائرا حقيقيــا و أن الجنــاح المكسور ليس جناح طائر بل يدي إنسان مبتورة و هي لفتاة رسامة على الرغم من الإعاقة .

فالكاتب في هذا المقام يسعى إلى تقديم حكاية و سيرة حياة هذه الفتاة , و مدى نجاحها مــع الصــعوبات التــي تفرضها الإعاقة محاولا استكشاف العبر مع قارئه الطفل, و توجيهه نحو مجالات التحدي و الإصرار و كأن النص بني و صنع من أجل تقديم العبر أكثر مما يسعى إلى تشغيل المخيلة لدى المتلقي الصغير. وهنا تبــدو خصوصــية أدب الأطفال الذي يعدّ الأدب الوحيد الذي يلتصق اسمُ نوعِه باسم متلقّيه، ويراعي فيه الكاتب المستويات الفكرية والمعرفيــة لجمهوره، ولا يكون ذلك من خلال مستوياته الفكرية والمعرفية هو ككاتب مبدع، وإنما من خلال جمهوره، لأنه يــدرك من البداية أن المتلقي الذي ينتظره في نهاية بحر الإبداع هو طفل، وأن عليه أن يحدد قاموسه المعرفي واللغوي وتركيبه الفسيولوجي والبيولوجي، لتحديد ميوله الفكرية، والانطباعية للفكر الذي يتلقاه، فيستعيد ذاكرته وغرائزه الطفولية بفكــر واع لكاتب مبدع.(ينظر **محمد قرانيا** " بدايات قصة الأطفال في سورية).

و في قصة خالد اقلعي التفاتة ذكية إلى ليلة القدر كمقدمة للقصة فالطاقية و الليلة المباركة تتقاطعان في الغيبيات و الانتماء إلى العالم الخفي الذي يحلم الجميع باستكشافه و الطاقية في التراث العربي ارتبطت بعالم ســحري جميــل و الصغار و الكبار على السواء يتسم بالانتظار و التتبع و الترقب مع توقع أمر غريب و جلل في أية لحظة.

فالقاص في هذا المقام يعرف جيدا حب الطفل لما هو غريب و عجيب و سحري , فوظــف عــالم ليلــة القــدر المعروفة في الموروث الإسلامي و الجميع متعلق بها متشوق اليها , فيجد المتلقي نفسه يعيش مع قصة الشــيخ الزاهــد سيدي علي بركه و التي ستفسح المجال للمتلقي و كذا أبطال القصة للطواف على أجنحة الخيال فــي عــوالم شــتى و خاصة أن المتواجدين داخل القصة يشبهون كثيرا من هم خارجها و كثيرا ما يسعدون بالتشبه بهم و من ثــم ينــدمجون معهم , و مع الحوادث و يعايشون كل الأفكار الواردة في النص, و ما فعله خالد اقلعي بالطفل الذي يستلم قصته و يريد أن يتعرف على بدر الدين و طاقيته و كأنه يقترب بهذا العنوان و يتقاطع مع علاء الدين و مصباحه , "" شهدت مــدينتنا تطوان ليلة السابع و العشرون من شهر رمضان المبارك واقعة غريبة تناقلتها السن الرجال و النساء الشــيوخ مــنهم و الأطفال و ظلت حكاية هذه الواقعة الغريبة بمنزلة معجزة ترضع الأمهات صغارها نسغ حكمتها و ترويها الجدات مساء على أسرة أحفادها جيلا بعد جيل ..."(طاقية الشفاء .ص 3)

يحيلنا هذا المقطع مباشرة على الكثير من حكايا ألف ليلة و ليلة حيث تلتقــي عجائبيــة الأمــاكن و الحــوادث بروحانية رمضان و ليلة القدر , خيالات الجدات و قصص الليالي الطوال , المعجزات و الخوارق, هــذه توقيعــات و ضرب على أوتار نفسية الطفل و طبائعها , و على الشغف الكامن لديه بالغرائب و العجائب , و ارتباطه المتين بقصص الجدات و أثرها في تكوينه النفسي و صناعة مداركه و مخيلته .

و إن طبيعة هذا المتلقي الصغير تستدعي اختيار مجموعة من الرغبات الطفولية كالرغبة في المغامرة و الاستكشاف , ""... وصل الأصدقاء الثلاثة

إلى مغارة الشيخ سيدي علي بركه قبيل منتصف الليل بقليل . و على الرغم من وحشة المكان و هيبته , فقد كانت الآمال العريضة التي تضطرم في وجدانهم

و امتلاء السماء بالنجوم المتلألئة و الأضواء القوية المنبعثة من المصابيح الثلاثة التي أحضروها معهم تجعل من فضاء المغارة المنعزل بقعة روحانية تسبح في رحاب نور و سكينة و طمأنينة ..."" (طاقية الشفاء ص:8)

فالملاحظ هنا اللعب على تلك الرغبة لدى الطفل – المتلقي , و هي حبه للمغامرة دون خوف أو حساب للعواقب كالتنقل في الأماكن الموحشة و المظلمة و ترقب لحظة الكشف و تحقيق المبتغى , عن طريق التعلق بليلة القدر المباركة و كأنها قريبة المنال عبر الأدعية و الصلاة و تلاوة القرآن و ترداد الأماني و الرغبات .

و لعل ذلك التنافس و التسابق بين الأصدقاء الثلاثة وراء أمنياتهم المختلفة

يعد أسلوبا جميلا و رائقا في تحبيب المتلقي في القصة و الإغراء باستكمال قراءتها لأنه من طبيعة الطفل حب المنافسة و العمل الجاد على قهر الخصوم و المنافسين و التغلب عليهم و هو هنا سباق من أجل الإمساك بالأمنيات و بما تقدمه ليلة القدر للمسلم المجتهد , ""... و عندما أفاق الصديقان من ذهولهما على مشهد بدر و هو جاثم على ركبتيه يرفع كفيه بالدعاء إلى الله , أدركا أنهما في قلب اللحظة المباركة التي تاقا إليها منذ زمن بعيد و أن عليهما الآن أن يلتمسا أمنيتهما من الله قبل أن يغلق باب السماء دونهما عندئذ صاح كل منهما بأمنيته على عجل ..."" (طاقية ص 12)

فالطفل يهوى و يعشق الشخصيات الجريئة و التي لا تهاب المغامرة و تتحدى المخاطر و تحب الطموح و الانطلاق , و لعل توالي المواقف في هذه القصة و حركية شخصياتها تساعد كثيرا على التصاعد في درجة انفعال المتلقي و متابعته للقصة بتشوق و لهفة , ""... الآن و قد أصبحنا من أصحاب الملايين بعدما كانت تمر عليهما شهور لا يذوقان فيها طعم اللحم كيف تكون هذه الأموال لعنة و قد انعم الله علينا بها في شهر مبارك استجابة لدعواتنا خلال شهر رمضان المعظم ...""(الطاقية ص 23)

و لا تخلو قصة من هذا السلوك المتميز بالإثارة و اللعب على مشاعر المتلقي ليبقى ملتصقا بالقصة و حوادثها مقلبا لصفحاتها مستعجلا الوصول إلى نهاية مواقفها و أحداثها , فبعدما عرف القارئ بطلة قصة الطائر المكسور الجناح و حالتها الجسدية اشرأبت أنفاسه و جوارحه لمعرفة كيفية حدوث ذلك و أسلوب عيش الفتاة و في أية ظروف قامت بما قامت به من انجازات , "" ... ابتعد أبي عن الطبيب و كأنه نسي أنه يقف أمامه متحدثا إليه و قفز إلى سرير أمي و حملني بين يديه و أنا ملفوفة في غطاء صوفي قبلني و التفت ينظر إلى الطبيب و كان قد لحق به و عيناه مستغربتان و كأنه يقول له: ما لها بنيتي ؟ إنها بخير حينها تقدمت القابلة و أخذتني منه و عرت عني قليلا فأبصر الهول و رأى المأساة و ما استطاع في الحقيقة أن يبصر أو يرى شيئا فما كاد يلمح جسد الوليدة الجديدة و يدرك أنها مقطوعة الأوصال بلا يدين حتى اخفي وجهه بين كفيه و انهار على السرير..."(الطائرص8-7)

الحكاية هنا مشوقة و محركة للعواطف , و الطفل يترقب و ينتظر ما يلبي رغباته و يريح فضوله و يشفي غليله فعنصر الجذب هنا هو الجانب المأساوي في الحكاية و مفاجأة الأب بالحقيقة المرة و بمأساوية الواقع , و هذا ما ارتفع بدرجة الانفعال لدى المتلقي , و دفعه لمتابعة ما تبقى من الأحداث.

و لعل تعمق الكاتب في أغوار نفس الشخصية و البحث في آلامها و أحزانها يثير القارئ الصغير يجعله يتعاطف و يتفاعل , يحزن لحزن الشخصية و يسعد لسعادتها يبكي لبكائها و يبتسم لابتسامها و فرحها.فالأدب دائما يستهدف التأثير في متلقيه عن طريق المشاعر و المواقف و هذا لاستمالته نحو مشاركته أحاسيسه و رؤاه , و ذلك لأن الانفعال

هو التعبير الإنساني عن حصيلة ما يبلغه الإنسان , و الفن الأدبي مقترن اقترانا مباشرا بتلك الوظيفة أي وظيفة الإثـــارة للانفعالات التي تعد معادلا مباشرا لأي ممارسة , إنها نتيجة معلنة للتجربة الإنسانية . ينظر .(اليعكوبي ص:46)

و مثال ذلك من قصة ايت ميهوب لما أتى صديق عائلة سالمة و تساءل عن التحاق الفتاة بالمدرسة , و عــرف أنها لم تلتحق بعد قال :"" ... لكل شيء حل , فقال أبي في حزن و تذمر و كأنه يريد أن ينفس عن كرب قديم , أي حل سي طارق ؟ ماذا عساها تفعل في المدرسة ؟ و كيف ستمسك الكتاب و الأقلام ؟

حينها انفجرت باكية و جريت إلى غرفتي و دموعي تسبقني إليها و لحق بي أخي و أمــي ..."(الطــائر . ص 30)

هذا الموقف و غيره من المواقف المؤلمة له إيقاعه الخاص على النفس البشرية و خاصة نفسية المتلقي الصـــغير , و من ثم يسهل عليه الاندماج في الأحداث فيقرأ بشغف و يحلق في أجواء ذلك العالم الذي صنعه القاص.

و لما تتكشف القصة عن موقف آخر تظهر فيه الشخصية صلبة ثابتة ذات إرادة قوية , و هو ما نجده في قصـــة خالد اقلعي لما عرى دخيلة شخصية بدر و هو يناضل من أجل تحقيق أمنيته فيواجه الصعاب مصرا على الوصول إلى الهدف ""... غير أن ما أقدم عليه بدر من تضحيات جسام , و ما بذل من جهد جبار رغم فقره و هزاله و صغر سنه , كانت بمنزلة ضريبة نجاح كلفت صاحبها نوبات قلق و توتر و إرهاق أخذت سماتها تظهر على بدر من حـــين لحـــين على شكل غفوة قصيرة داخل الفصل الدراسي , أو من خلال غلالة صفراء تكتسح ملامحه أو على صورة ذهول تـــام يشغله أحيانا , عن كل ما حوله و كان كلما فطن إلى هذه الأعراض صبر و تجلد , و ردد في قرارة نفسه بحزم و ثقـــة قول الشاعر:

و ما نيل المطالب بالتمني و لكن تأخذ الدنيا غلابا ."(الطاقية ص:31)

فإصرار بدر على التحدي و مواجهة كل أشكال التثبيط يوحي للقارئ بأنه شخصية غير عادية , و مثالية محبـــة للتنافس و محبذة للنجاح , رافضة للخسارة و التراجع , هي إرادة كل طفل يدخل سباقا تنافسيا مـــع أقرانـــه و لا يقبـــل الهزيمة إطلاقا .

و هكذا نجد و نلحظ أن كتاب القصة الموجهة للطفل لا يغفلون المراهنة على الإيحاءات النفسية المعتمدة علـــى تحريك العواطف و تأجيج المشاعر , و جلب القارئ عن طريق ذلك السلوك , و إدماجه في النص و حوادثه و مواقفه المؤلمة أحيانا و المذكية لروح المبادرة و المنافسة في أحايين أخرى , فإدراك القاص الرغبة الكامنة في نفوس القـــراء للاندماج و التعايش و التحليق في نفس أجواء القصة , و معرفته بان عواطف الشخصيات تهذب الوجـــدان و تنشـــطه جعله لا يتوانى في الضرب على تلك الأوتار و المراهنة عليها لإنجاح عملية التواصل و التأثير .

و إلى جانب **الرهان الأول** الذي هو من الأهمية بمكان في القصة الموجهة للطفل نلفي رهانا له ما له في مجـــال القص و فنونه , و هو **المراهنة على نزوع الطفل إلى الدهشة و الابتهاج** و هي مقاصد ذات أهمية كبرى لا يمكن أن يحققها القاص إلا عن طريق استغلال و استثمار الإمكانات اللغوية و البلاغية و الفنية استجابة لروح الطفولة, و نلاحظ في ما كتب من أعمال أدبية موجهة لعالم الطفولة "كثرة النصوص التي تُنسب إلى أدب الأطفال بالحق وبالباطل، وقليل منها هو الذي يحقّق الغايات المرجوة؛ لأنَّ النص الأدبي الطفلي ليس عملاً تربوياً فحسب، وإنّما هو عمل فني بالدرجـــة الأولى، وهيهات أن تتحقق هذه الفنية بسهولة أمام ما يعترض طريق هذا الأدب من صعوبات جمّة، لعلّ في مقدَّمة هذه الصعوبات أنَّ الكبار هم الذين يكتبون لهؤلاء الأطفال، وهم قد تجاوزوا هذه المرحلة، ممّا يتطلّب منهم ــ ليس فقــط ــ استرجاع طفولتهم بملابساتها والعوامل الفاعلة فيها، ولكن عليهم أن يعايشوا طفولة اليوم، وما أكثر متغيراتها!".(**يُنظر**: النص الأدبي للأطفال.(د. **سعد** أبو الرضا).

فكل هذا يقتضي تسخير الكثير من الإمكانات الفنية التي هدفها تحقيق الاستجابة الجمالية لدى الطفل وهذا يعني ألاَّ يتصرّف الأديب حيال الأطفال مثلما يتصرَّف رجل التربية أو عالم النفس، وهو الأديب الفنان.. لأنَّ موقف أديب الأطفال كموقف الفنان التشكيلي إزاء لوحته الفنية التي يبدعها؛ إنَّه يتطلّع إليها من بُعد قريب بين حين وحين، ليعود ويحمل الفرشاة فيضيف إليها لوناً وهكذا.. ولا يكفي أن يعرف أديب الأطفال جمهوره بل لا بد من أن يحترمه، يبشِّره بأنَّه صديق له، وألاّ يغالي بأستاذيته عليه، أو أن يقلِّل من شأنه، أو يستخف به وبقدراته". هادي نعمان **الهيتي**. أدب الأطفال، فلسفته وفنونه ووسائطه.

و يضيف الباحث المغربي البشير اليعكوبي إلى هذا المقال و التوجه أن ""... النص الأدبي تشكيل لغوي متنام و منسجم لإحساسات و رغبات و ميولات و أفكار و تجارب الكاتب السابقة تشكيلا فسيفسائيا ينتج عالما متخيلا يجسد رواية الأديب للواقع الذي يشكل سياق إنتاجه و يستهدف التأثير على المتلقي ."" (ص 48 اليعكوبي) , فما العمل و ما طبيعته الخاصة جدا إذا كان المقصود هو الطفل؟..

و لعلك مكتشف ذلك في القصتين الموجودتين بين أيدينا , فما نلفيه من أنواع الألفاظ و الأساليب و ما وفره الكتاب من وظائف للنص يدلل على السعي إلى تحقيق الأهداف الجمالية من أجل ترك أثر أيجابي في المتلقي الصغير . و لعل إدراك المبدع لكل ما هو كامن عند الطفل , و اكتشاف القوة التي بإمكانها النمو في ذاته هما تصرفان وحيدان يثبتان الثقة به و بتربيته و كذا احترامنا له(.ينظر .perrenoud)

و "أما موضوع وعي الطفل نفسه وعلاقته بالآخرين، ومراعاة الأدب لهذا الجانب الهام، فهو قضية أساسية، لأن ما نكتبه للطفل يجب أن يساعده على فهم نفسه بصورة أفضل. وفهم الآخرين، وإنشاء علاقات إيجابية معهم، لأن الطفل بحاجة إلى الرؤية الواضحة لمخاوفه وتطلعاته، وإلى تهدئة صخب انفعالاته، وإلى وعي مشكلاته وصراعاته، وتلمّس حلولها، وإلى تجاوز الحدود الضيقة لوجوده المتمركز حول ذاته، وبذلك يمكن للطفل أن ينتقل من وجود "**تبعي**" متأزم ومشحون برغبات طفولية، إلى وجود **مستقل** ــ لحد ما ــ أكثر إرضاء وملاءمة لنفسه.." و هذا ما تحرص القصة على تحقيقه و توفيه لتكتمل الأهداف و الغايات من القص و الحكي للطفل . نجيب **الكيلاني**. أدب الأطفال بين الهدف والوسيلة.

و من تلك الأنواع النصية نجد النص الحكائي الموجه للطفل المتضمن لشخصيات تتفاعل من أجل انجاز حوادث تتنامى في الزمن و الشيء الذي يميز هذا الشكل من النصوص كونها ذات بنية خاصة , لها خطها السردي الذي يرتكز على محطات عدة كالوضعية الأولية و عنصر الإثارة و تسلسل الحوادث و النتيجة النهائية مع بعض الخروقات لخلخلة الحكي عبر تقنية الاستباق و الاسترجاع.(ينظر اليعكوبي ص49.)

فهذا التكنيك لم يغب عن مخيلة الكاتب المبدع ايت ميهوب , إذ وضع القارئ أمام افتتاحية حكائية من خلال اعتماد أفعال دالة على حالة معينة عاشتها الشخصية و هي تحتفي بالتتويج "" لم أرغب في شيء ساعة توجت بجائزة الرسم الكبرى قدر رغبتي في أن أنزوي في ركن قصي من أركان المسرح و أطلق العنان لعبرات الفرح و الفخر تغسل ألام الروح و تطرد أدران السنوات ...""(الطائر . ص3).

و تبدأ الإثارة في القصة حينما يكتشف الأب سر ابنته في المستشفى ""...هب في انفعال شديد و ثورة عارمة يمسك بتلاليب الطبيب و هو يصيح : ماذا فعلتم بابنتي , ماذا فعلتم ؟ ... فقد كان وقع الصدمة شديدا عليه , و لم يكن يتصور يوما أنه يمكن أن يولد بشر ما دون يدين ..(الطائر ص8)

و مثله خالد اقلعي الذي افتتح النص الحكائي بالحادثة العجيبة التي تعرضت لها الصبية الفقيرة العليلة و المصابة بمرض جلدي مقزز و التي توجهت ليلة القدر إلى السطح داعية الله أن يشفيها فإذا بأبواب السماء تفتح لها فصاحت العافية يا ربي ... العافية ""(الطاقية ص 3). و في اللحظة شفيت و بقيت حكايتها مع ليلة القدر منقوشة في

عقول الناس و الأصدقاء الثلاثة. فهذا الفضاء السردي العجائبي يستهوي الأطفال , و يجعلهم يتمسكون كثيرا بحـوادث القصة و تطورها .

ثم يتحول الكاتب إلى عنصر الإثارة المحطة الأكثر تحريكا للخيال و تنشيطا للسرد , لما يتجه الأصدقاء ناحيـة الجبل باحثين عن مكان يحقق الخلوة و الخشوع , و إذا بهم ينتبهون إلى ""... إن ثمة وجود لضباب شفاف يقبـل مـن جهة الغابة ينعش المكان من حولهم , و يبعث في أجسادهم رحيق سكون و طمأنينة . و يدنو بدر من عـين الوضـوء الوحيدة التي عن يمين المغارة ليتحقق من أن رائحة المسك الطيبة التي أخذت تعطر المكان , تنبعث فعلا من العـين . لقد أذهل هذا الاكتشاف بدرا فهم باستدعاء أصدقائه لينعموا بالراحة الزكية لولا أن انهمرت من صفحة السـماء فجـأة شلالات أنوار ساطعة بألف لون و لون , و اجتاح الأصدقاء الثلاثة موجة ذهول جارفة و هم يشهدون تبدل المكان من حولهم و تحوله إلى فردوس عجيب غاص بالأزهار الندية و الروائح الذكية و الأنوار البهيـة , و التراتيـل الملائكيـة الشجية تأتيهم من كل مكان ,,, لقد أجحظ الحدث العجيب عيون الأصدقاء الثلاثة و عقد ألسنتهم , فذهلوا عن أنفسـهم و عن أمنياتهم و عن الدنيا و من حولهم ..."(الطاقية. ص 11).

راهن القاصان أيضا على كفة أساسية في القص للطفل و هي **كفة القيم و التعليم و التثقيـف** ,فحتـى يتحقـق التفاعل لدى الطفل لا بد من الاهتمام "...بالألفاظ والتراكيب اللغوية ... واستخدام الألفاظ والتراكيب السهلة، وتجنـب الغريبة غير المألوفة منها، والإقلال من المفردات والتراكيب المجازية إلا ما جاء منها عفو الخـاطر، واللجـوء إلـى التكرار في الألفاظ والتعابير. وعلى صعيد الجملة، تركيبها ونحوها – استخدام الجمل القصيرة أو المتوسـطة الطـول، وتجنب الجمل الطويلة المعقدة. استخدام الجمل والألفاظ الدالة على المعاني الحسية وتجنب المجرد المعنـوي. ويعتقـد البعض أن الكتابة للأطفال أكثر مشقة من الكتابة للكبار، بسبب الاشتراطات **التربوية والثقافية** التي يلتزم بهـا كاتـب الأطفال، وبسبب مراعاته للمستوى العقلي والنفسي للمتلقين...."" **سناء العطاري** . (أدب الأطفال والتربية الإبداعية).

فقد راعى الأديبان الأفكار و الأخلاق و القيم السائدة, و لم يكن الإمتاع و الإدهاش وحده على مساحة النصين بل إصرار على التثقيف و التربية , عن طريق بناء فني مقنع يتكفل بخلق الاستجابة الجمالية و ""... صحيح أنني لم استسلم يوما لقدري , و صحيح أنني استطعت التغلب عل عجزي ..."" الطائر .ص 10, وتقوم القصة على تصوير الصـراع بين جانبين أو أكثر، ومع تصاعده ترتفع درجة الانفعال والمتابعة عند الطفل، ويرى أغلـب كتّـاب القصـة أن هـذا الأسلوب هو أهم أساليب التشويق على الإطلاق، وتكون الحبكة في أحسن حالاتها إذا بنى الكاتب قصته على أساس من الحركة، والفعل، والمواقف المثيرة أكثر من بنائها على السرد والإخبار. أما الصراع فنراه في القصة متجليا كاشـفا عن طبيعة تلك الشخصية التي تمثل التحدي و الإصرار على البقاء و إثبات الوجود ."... كنت أرسم الحـرف و أقـف أمامه أصيح مرددة إياه طالبة ممن يتحلق بي من صغار الحي ممن لم يدخلوا المدرسة بعد أن يرددوا معي ,,,"" الطـائر ص 23. فالطفل لا بد أن يمنح الوعي و إرادة التحدي و الرغبة في التغير لأنه مقبل على المستقبل ومن ثم لا بد من إعداد العدة عبر اكتساب أفضل القيم .

كما علمت القصة الطفل الاحتذاء بالناجحين من أصحاب العاهات و الذين أصبحوا منتجين للحكمـة و أصـحاب خبرات عالية يمكن الإفادة منها ""... كم أحببت شخصية الكاتبة الأمريكية هيلين كيلر الملقبة بالمعجزة الإنسانية , تلـك الفتاة التي أصيبت و هي لم تجاوز شهرها التاسع عشر بمرض التهاب السحايا ففقدت السمع و البصر معا , و مع ذلـك استطاعت أن تدرس و تتفوق في دراساتها و تنال شهادة الدكتوراه و تغدو عالمة و كاتبة و ناشطة سياسية مؤثرة فـي المجتمع الأمريكي ..."" الطائر ص 49 , و إلى جانبها لويس برايل و طه حسين و المعري و غيرهم كثر وهم بمثابـة منارات تضيء الطريق و تهدي الضالين و العاجزين , فتمنحهم القوة و الإصرار .

و من خلال ما تقدم تبين لنا أن المبدعين راهنا على ضرورة مراعاة لغة الطفل و قاموسه , مع العمل على إثراء معجمه بالمفردات و التعابير الجميلة , كما اشتغلا على عواطف الشخصية من أجل تهذيب وجدان الطفل , كما لم يغفلا المواد المعرفية و القيم التربوية و الأخلاقية , فقصة الطفل تسعى للإمتاع و تحافظ على النوع الأدبي و تراعي المستوى الاجتماعي و العقلي و النفسي و اللغوي للمتلقي .

المراجع:

. خالد اقلعي. بدر الدين و طاقية الشفاء.مط تونس . قرطاج 2013 . محمد ايت ميهوب . طائر مكسور الجناح يحلق في أعالي السماء.مط تونس . قرطاج ط1 . 2015

. عبد الوهاب المسيري .الثقافة و المنهج. ج 1. دار الفكر . دمشق . 2012

. البشير اليعكوبي . القراءة المنهجية للنص الأدبي. دار الثقافة . المغرب 2006

.perrenoud philippe ,construire des competences ,
www/unige /ch/fapse/sse/2000

مقالات الكترونية.

. سناء العطاري . أدب الأطفال والتربية الإبداعية.
http://www.arabicstory.net/forum/index.php?showtopic=8307

. سعد أبو الرضا. النص الأدبي للأطفال.

محمد قرانيا. بدايات قصة الأطفال في سورية. http://www.arabchildrensliterature.com/ar/resources/ar-1

نجيب الكيلاني. أدب الأطفال بين الهدف والوسيلة.